

## المهارات اللغوية في ضوء التداولية مقارنة تحليلية

م.د. منى منشد كاظم

كلية التربية / الجامعة المستنصرية

المخلص:

تعد اللغة العربية تراث حضاري وثقافي يمتد لآلاف السنين، حاملةً بين حروفها ومفرداتها تاريخ أمم وثقافات متنوعة؛ ففي عالم يتسم بالتغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة، أصبحت اللغة أكثر من مجرد وسيلة لتبادل المعلومات؛ بل أداة مركزية للتفاعل والتأثير بين الأفراد والجماعات ومن هذا المنظور، تقدم التداولية رؤية جديدة لدراسة اللغة، إذ تركز على استخدامها في الواقع العملي وليس فقط على القواعد والمفردات، ومن هنا نجدها تهتم بكيفية صياغة المعنى داخل المواقف الاجتماعية المختلفة، وكيفية تفسير الرسائل وفهم النوايا الضمنية للمتحدثين، وتتبع أهمية دراسة المهارات اللغوية في ضوء التداولية من كونها تكشف العلاقة الوثيقة بين المعرفة اللغوية والقدرة على التفاعل في سياقات متعددة، حيث تصبح المهارات اللغوية أدوات عملية لفهم النصوص، تحليل المواقف، والتكيف مع التنوع الثقافي والاجتماعي. كما توفر المقارنة التحليلية للتداولية إطاراً يمكن من خلاله تقييم قدرة الفرد على إدارة الحوار، التفاوض، والإقناع، بما يتجاوز القدرة على بناء الجملة أو اختيار المفردات الصحيحة.

### Abstract

The Arabic language is considered a cultural and civilizational heritage that spans thousands of years, carrying within its letters and vocabulary the history of diverse nations and cultures. In a world characterized by rapid social and cultural changes, language has become more than just a means of exchanging information; it is a central tool for interaction and influence among individuals and groups. From this perspective, pragmatics offers a new approach to studying language, focusing on its use in practical contexts rather than merely on rules and vocabulary. Pragmatics is concerned with how meaning is constructed within different social situations, how messages are interpreted, and how the speaker's implicit intentions are understood.

في ضوء التطورات الحديثة في علوم اللغة والتواصل، لم تعد دراسة اللغة مقتصرة على معرفة القواعد والمفردات، بل امتدت لتشمل كيفية استخدام اللغة في مواقف حياتية متنوعة ومن هذا المنطلق، أصبحت التداولية إطاراً أساسياً لفهم العلاقة بين المعرفة اللغوية والقدرة على التفاعل الفعّال في المجتمع والتداولية تهتم بدراسة السلوك اللغوي في سياقه الواقعي، وكيفية إنتاج المعنى وتلقيه وفهم النوايا الضمنية للمتحدثين، وتعتبر المهارات اللغوية من أبرز المجالات التي يمكن تحليلها من منظور تداولي، إذ تشمل القدرة على التعبير، الاستماع، التفاعل، التفسير، والتفاوض في مواقف التواصل المختلفة. فالمهارات اللغوية لا تقتصر على القواعد أو اختيار الكلمات الصحيحة، بل تشمل القدرة على التكيف مع السياقات الاجتماعية والثقافية، استيعاب الإيحاءات، واستخدام الاستراتيجيات المناسبة لإيصال الرسالة. ومن هذا المنطلق، فإن التداولية تمنح الباحثين أداة تحليلية لفهم كيف يمكن لغة أن تصبح وسيلة للتأثير والإقناع، وكيفية توظيف المهارات اللغوية في خدمة التواصل الفعّال. كما توضح الدراسة التحليلية للتداولية أن المهارات اللغوية تتداخل مع العوامل الاجتماعية والنفسية والثقافية، مما يجعل تعلم اللغة وتطوير مهاراتها عملية شاملة تتجاوز الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي والوظيفي. فالقدرة على فهم السياق، استنتاج المعاني الضمنية، وإدارة الحوار بنجاح، تعتبر من أبرز مظاهر التفاعل التداولي الناجح، وهو ما يثري الخبرة اللغوية للمتعلم ويعزز من قدرته على التواصل الفعّال في الحياة اليومية، كما إن الاهتمام الجديد بالمهارات اللغوية لا يهدف فقط إلى تعليم اللغة أو تحسينها على المستوى النظري، بل يسعى إلى تمكين المتعلم من إتقان فن التواصل الحقيقي، وفهم كيف تتفاعل اللغة مع السياق، والهدف، والشخصية، والموقف الاجتماعي وبذلك، يصبح التحليل التداولي للمهارات اللغوية أداة لفهم أعمق لكيفية عمل اللغة في الحياة اليومية، وكيف يمكن للوعي التداولي أن يساهم في تطوير القدرة على التعبير والاستقبال بطريقة أكثر فعالية وذكاء تواصلية، والتداولية مثابة "روح" المهارات اللغوية، حيث تنتقل بها من مجرد معرفة قواعد النحو والمفردات إلى الاستخدام الفعلي والوظيفي للغة في السياق الاجتماعي. فهي تركز على كيفية استخدام المتحدثين للغة لتحقيق مقاصد محددة، مما يربط المهارات (استماع، تحدث،

قراءة، كتابة) بالموقف وسياق الحال. والتداولية هي العلم الذي يهتم بدراسة العلاقة بين المتكلم والمستمع في سياق الاستخدام الحقيقي للغة، وكيف تؤثر الظروف والسياق والموقف على معنى الكلام وفهمه، و لا تقتصر التداولية على المعنى الحرفي، بل تتعداه إلى المعنى المتضمن والسياقي، وترتبط التداولية بالمعرفة اللغوية وسياقات الاستخدام الواقعي، فهي تدعم المهارات اللغوية جميعها من طريق تعزيز فهم السياق، والتواصل الفعال، والمهارات اللغوية، أداء لغوي (صوتي أو غير صوتي) يتميز بالسرعة والكفاءة والفهم، مع مراعاة القواعد اللغوية المنطوقة والمكتوبة، والمقصود هنا (قراءة، تحدث، استماع، كتابة، تعبير)، فالأداء الصوتي يشتمل: القراءة، التعبير الشفهي، أداء النصوص، التذوق الجمالي، أما الأداء غير الصوتي يشتمل: الاستماع، الكتابة بأنواعها، التذوق الجمالي الخطي وغير الخطي، وأولى المهارات اللغوية: تعتبر مهارة الاستماع من أهم مهارات اللغوية الأساسية والتي تسبق المهارات الأخرى جميعها، إذ يبدأ الإنسان بها منذ ولادته، بل وهي بوابة الدخول إلى اللغة، والوسيلة الرئيسة لتلقي المعرفة والخبرات، وتبرز أهمية هذه المهارة في العملية التعليمية وفي التواصل الإنساني بشكل عام، فهي الأساس في الفهم، والتفاعل، والتعلم، والاستماع، هي القدرة على إدراك المسموع وفهمه وتحليله وتقويمه، ثم التفاعل معه، وفق سياق الكلام ومقاصد المتكلم، وتعدّ الأسبق من حيث الإكتساب والأكثر استعمالاً في الحياة اليومية والتعليمية، وهنا يظهر دور التداولية، التي تهتم بدراسة استخدام اللغة في سياقها الاجتماعي والفعلي، إذ تساعد المستمع على تفسير الكلام بشكل أعمق من مجرد معاني الكلمات المجردة، أي فهم المعنى الحقيقي وراء الكلام المنطوق وليس مجرد المفردات أو القواعد، وذلك عبر فهم السياق الاجتماعي والنبرة والمعنى الضمني. يمكن للمتعلم أن يفسر ما يقصده المتحدث فعلياً، حتى لو لم يقل ذلك صراحة، ولا يقتصر فهم المستمع على الجمل التي يسمعها فقط، بل يتضمن فهم النية والغرض من الكلام، واستيعاب الرسائل الضمنية التي لا تُذكر صراحة، فالتداولية تمكن المستمع من التعرف على سياق الكلام، ظروف النطق، ونبرة الصوت، والتي جميعها تحمل دلالات مهمة لفهم ما يريد المتحدث إيصاله. على سبيل المثال، عندما يقول شخص ما "الجو بارد اليوم"، قد يفهم المستمع ضمناً أن المتحدث يريد تدفئة المكان أو ارتداء ملابس دافئة، وليس مجرد تسجيل حالة الطقس، وبالتالي، فإن التداولية تجعل عملية الاستماع أكثر فعالية، إذ توفر للمستمع أدوات لفهم المعاني الضمنية، الأفعال الكلامية، والنوايا وراء الكلام، كما تساعده على اختيار ردود فعل مناسبة، مما يعزز التفاعل والتواصل الحقيقي بين المتحدث والمستمع. يمكن القول إن إدراك التداولية أثناء الاستماع يرفع من جودة الفهم ويجعل التواصل أكثر دقة وفاعلية، خاصة في المواقف الاجتماعية اليومية التي تتطلب تفسير المعاني بشكل صحيح والاستجابة بطرق ملائمة، لذا الاستماع الجيد هو قاعدة التحدث الفعال، فكلما فهم المستمع الرسائل التواصلية بدقة كلما أصبح قادراً على التحدث بطريقة تلي نفس الغرض التواصلية. والتحدث واحدة من أهم المهارات اللغوية الاتصالية، وهي المهارة الثانية من مهارات اللغة وهذا ما ذهب إليه علماء اللغة في تقسيمهم للمهارات اللغوية، وبوساطة هذه المهارة يتفاهم الأفراد مع بعضهم البعض في مواقف الحياة المختلفة، وتتيح مهارة التحدث للإنسان ترجمة المعلومات والأفكار إلى كلام أو حديث، وبالنظر في مختلف مراحل تعليم اللغة العربية تعدّ مهارة التحدث وسيلة رئيسة في تعليم اللغة، إذ يمارسها الطلبة من طريق الحوار والمناقشة، وتزداد هذه الأهمية بروزاً في المرحلة الجامعية إذ يحتاج فيها المتحدث إلى تعلم مهارات التحدث الأساسية التي تتيح لهم فرصة الوصول إلى فهم مهارات اللغة الأخرى والتعامل مع العلوم والمعارف المختلفة التي يتعلمونها، والجدير بالذكر إن مهارة التحدث ثاني مهارة لغوية من حيث الأهمية بعد مهارة الاستماع، فالطفل يشرع أولاً بالسماع الذي هو مصدر الاكتساب اللغوي فيسمع أولاً ثم يحاكي ما يسمع بالحديث وأن قدم الاستماع بوصفه مفتاح الاكتساب اللغوي، ويعدّ التحدث مفتاح تعلم اللغة لان المتحدث يتكلم فيستمع إليه المتعلم فيتعلم وهكذا تتم عملية التعلم بهذا التواصل الذي يشير إلى ان تعلم اللغة يبدأ بمهارة الاستماع وان تعليمها يبدأ بمهارة الكلام والتحدث إن عملية التحدث ليست حركة اعتباطية أو مفاجئة إنما هي عملية معقدة تتم على وفق خطوات مدروسة ومعدة مسبقاً وتمثل في، (الإستثارة، والتفكير، والصياغة، والنطق)، إذ لا يتحدث الفرد إلا حين يكون هناك محرك له ومثير يستثيره لذلك والمثير إما أن يكون خارجياً كأن يتحدث عن شيء أمامه، أو يُجيب عن سؤال وُجّه له، أو يتحدث عن منظر أو رسم، او نقاش أو حلقة دراسية، وما إلى ذلك في مجالات الحياة المختلفة التي يريد فيها المتحدث على مثير خارجي، أما إذا كان المثير داخلياً كأن تكون فكرة يريد أن يعبر عنها، أو مفهومًا مبهماً يعبر لزملائه عنه أو مشكلة ما يريد التحدث عنها، وبهذا نجد أن نقطة البدء بالحديث هو وجود مثير يدفع الفرد للتحدث، وهنا لابد من بيان أن المتحدث قبل ذلك كلّه لا يحدّد مجموعة من الكلمات أو الجمل أو العبارات، بل إنّه قبل ذلك كلّه لديه فكرة أو موضوع أو هدف يُريد الإفصاح عنه أمام الجمهور بأسلوب سهل وبسيط، أي أن المتحدث قبل بدء حديثه مع الآخرين يحدد موضوعه بشكل دقيق، وتلعب التداولية دوراً أساسياً في التحدث لأنها تساعد المتحدث على التعبير عن أفكاره بطريقة مفهومة ومقبولة اجتماعياً، كما تمكنه من تحديد نبرة الكلام والأسلوب المناسب حسب طبيعة المستمع والموقف فالتحدث الفعال لا يقتصر على قول الجمل الصحيحة نحوياً، بل يشمل أيضاً اختيار الأسلوب المناسب للطلب أو الاعتذار أو الإقناع، أي ما

يسمى بالأفعال الكلامية والتي تعكس الهدف الحقيقي من الكلام، على سبيل المثال، عندما يريد الشخص طلب مساعدة من زميله، فإن التداولية توجهه نحو استخدام صياغة مناسبة مثل "هل يمكنك مساعدتي في هذا الأمر؟" بدلاً من صياغة قد تُفسر على أنها أمر أو إباح، إن هذه القدرة على مواءمة الكلام مع السياق الاجتماعي والنوايا تجعل التواصل أكثر فعالية وتساعد على بناء علاقات إيجابية بين المتحدث والمستمع بالتالي، يمكن القول إن التداولية تجعل التحدث أكثر وضوحاً ودقة وملاءمة اجتماعياً، فهي تحول الكلام من مجرد نقل معلومات إلى أداة تواصل حقيقية تعكس القصد والنية والتفاعل مع المستمع من دون فهم التداولية، قد تكون الجملة صحيحة لغوياً لكنها غير فعالة في تحقيق الهدف من التواصل. أما مهارة القراءة اقتصر مفهوم القراءة قديماً على قدرة القارئ على نطق الألفاظ والعبارات بصوت مسموع، دون الأخذ بعين الاعتبار فهم المعنى أو الإحساس بالمقروء والتفاعل معه، فقد كان القارئ الجيد هو السليم الأداء، وفي مطلع القرن العشرين كان اهتمام المعلمين ينصب في ذلك الوقت على تعليم التلامذة (التعرّف، والنطق)، إضافة إلى أنّ الأبحاث في تلك الفترة كانت متجهة إلى النواحي الجسمية المتعلقة بالقراءة كحركات العين وأعضاء النطق، وفي العقد الثاني من القرن نفسه تطور هذا المفهوم، فقد حلت محلّه مفاهيم أخرى تتناسب وتطور الحياة، وأهمها مفهوم (ثورندايك) للقراءة والذي أثر تأثيراً كبيراً في مفهومها، فالقراءة عنده ليست عملية آلية بحتة تقتصر على مجرد التعرّف والنطق، بل إنّها عملية معقدة تستلزم الفهم، وبذلك أضيف إلى مفهوم القراءة عنصراً آخر وهو (الفهم)، وكان من نتائج ذلك الاهتمام بالقراءة الصامتة، وأصبحت القراءة عملية فكرية ترمي إلى الفهم أي ترجمة الرموز إلى مدلولاتها من الأفكار، ثم تطور هذا المفهوم وصار يرمي إلى نقد المقروء وتفاعل القارئ مع النص المقروء تفاعلاً يجعله يتأثر بما يقرأ فيرضى، أو يغضب، أو يسخط، أو يحزن، أو يفرح، أو يحب، أو يشناق، أو يسر، أو نحو ذلك مما تكون نتائجه نقد القارئ للمقروء وتفاعله الكبير معه، وأخيراً انتقل مفهوم القراءة إلى توظيف القارئ لما يفهمه وما يستخلصه ويستنتجه مما يقرأ في حلّ المشكلات التي تواجهه في المواقف الحياتية المختلفة والانتفاع به، وإذا لم يوظفه في هذه الوجوه لا يعدّ قارئاً، وبذلك فإنّ المفهوم الحديث للقراءة يؤكّد أنّ القراءة عملية يشترك فيها العقل وحاستا البصر والسمع وأعضاء النطق كلّها تؤدي إلى فهم المقروء وتقويمه، وتوظيفه في الظروف الحياتية المختلفة للقارئ أو في سلوكه، والقراءة من المهارات الأساسية في اللغة العربية وتعني القدرة على تفسير الرموز المكتوبة (الحروف والكلمات) وفهم المعاني التي تدل عليها، والتداولية تُمكن القارئ من تفسير النصوص بناءً على السياق الاجتماعي والثقافي الذي كُتبت فيه، وليس الاكتفاء بالمعنى الحرفي للكلمات؛ فهي تساعد على التعرف على الأفعال الكلامية، مثل الإقناع، الدعوة، التحذير، أو التعبير عن مشاعر معينة، مما يجعل قراءة النصوص عملية تفاعلية وفهمها أكثر ثراءً على سبيل المثال، عند قراءة مقال نقدي أو قصة قصيرة، يمكن للتداولية أن تساعد القارئ على استنتاج نية الكاتب أو موقفه من الموضوع، حتى لو لم تُذكر هذه النية صراحة في النص، كما أن التداولية تعزز قدرة القارئ على القراءة النقدية والتحليلية، إذ تدفعه للتفكير في السبب وراء اختيار الكاتب لكلمات أو تعابير معينة، وكيف تؤثر على فهمه للرسالة العامة للنص. هذا الفهم السياقي يجعل القراءة أكثر من مجرد معرفة معلومات، بل تصبح أداة للتواصل الفكري والاستيعاب العميق للرسالة، باختصار، تساعد التداولية القارئ على تجاوز المعنى الحرفي للكلمات، وتمكنه من استخلاص المعاني الضمنية وفهم النوايا والأهداف التي دفعت الكاتب لاختيار أسلوبه، مما يجعل مهارة القراءة أكثر فاعلية ويساهم في تنمية التفكير النقدي والتواصل الثقافي والاجتماعي.

أما مهارة الكتابة من المهارات اللغوية الأساسية التي تتطلب أكثر من مجرد القدرة على تشكيل الجملة الصحيحة نحوياً، فهي تتعلق بقدرة الكاتب على نقل أفكاره ومقاصده بوضوح ودقة وبما يتناسب مع سياق، وإنّ اللغة تمنح الكاتب القدرة على تشكيل عباراته، وانتقاء ألفاظه، وبناء جملة وصياغة تراكيبه، على نحو يُظهر جمال المعنى وقوة الأسلوب. وكلما اتسعت حصيلة الكاتب اللغوية، وامتلك أدواتها من نحوٍ وصرْفٍ وبلاغةٍ، ازدادت كتابته نضاعة وتأثيراً، وتمكنت من بلوغ أعماق القارئ، وإيصال الرسالة بوضوح وإتقان، والكتابة، وإن كانت مهارة مكتسبة، إلا أنها لا تنمو ولا تزدهر إلا في بيئة لغوية ثرية، تقوم على القراءة الواسعة، والمطالعة المتأنية، والتدريب المستمر على التعبير الفصيح. فهي فرعٌ من شجرة اللغة، لا ينمو إلا إن رُوِيَ من معينها، وتعدّى بجمال تراكيبيها، لقد تطوّر مفهوم الكتابة عبر تواتر الأزمان ففي الوقت الذي كان يُنظر إلى الكتابة على أنّها مجرد نقش الحروف على الورق، وإعادة ترميز اللغة المكتوبة بنحو خطي بوساطة أشكال ترتبط بعضها ببعض على وفق نظام اتفق عليه أصحاب اللغة، فكلُّ شكل من هذه الأشكال يقابله صوت لغوي يدلُّ عليه، تطورت بعد ذلك فأصبحت عملية ذهنية في غاية التعقيد، تقوم على الإيحاء والإبداع، وتحول معلومات الفرد، وصوره الذهنية المجردة إلى رموز خطية، وترجم أفكاره ومشاعره وآراءه لتظهر في صور مرئية بوصفها الطرف الآخر لعملية الاتصال، وتتواشج في تكوين فعل الكتابة جوانب متعددة، تتمثل في الجانب العقلي والوجداني والمهاري، فأما الجانب العقلي فيرتبط بعمليات التفكير المختلفة، وأما الجانب الوجداني فيرتبط بالدافعية والرغبة في الكتابة عن مكونات نفس الكاتب، وما يعمل فيها من مشاعر وأحاسيس، وأما الجانب المهاري أو الحركي فيرتبط برسم الحروف وتسطيرها ونقشها بشكل ملحوظ ومفهوم، تتكامل هذه الجوانب

فيما بينها لتشكل معاً نصوصاً كتابية تحمل أفكار كاتبها ومشاعره ، والتداولية تساعد الكاتب على اختيار الأسلوب والمفردات المناسبة بحسب هدفه من الكتابة، سواء كان الهدف إبلاغ المعلومات، الإقناع، أو التعبير عن المشاعر. فهي تمكن الكاتب من مراعاة السياق الاجتماعي والثقافي للقارئ، بما يضمن فهم الرسالة بالطريقة المراد إيصالها، وتجنب أي سوء تفسير قد ينشأ من المعنى الحرفي للكلمات فقط، وعلى سبيل المثال، عند كتابة رسالة رسمية لطلب مساعدة، يمكن للكاتب أن يختار تعابير مهذبة ولطيفة مثل "أرجو التكرم بمساعدتي في..." بدلاً من صياغة قد تُفهم على أنها طلب مباشر أو أمر، مما يعكس القدرة التداولية في الكتابة وبالمثل، في كتابة نصوص إبداعية مثل القصص أو المقالات الأدبية، تساعد التداولية الكاتب على إضفاء الأبعاد النفسية والاجتماعية على النص، مما يجعل النص أكثر قدرة على التأثير في القارئ وتحقيق هدفه ، وتأسيساً على ما تقدم إن العلاقة بين التداولية والمهارات اللغوية تكشف أن اللغة ليست مجرد نظام قواعدي جامد، بل هي أداة حية للتفاعل الإنساني، تتطلب الوعي بالسياق الاجتماعي والقدرة على فهم وتوظيف المعاني الضمنية ومن هذا المنطلق، يصبح تحليل المهارات اللغوية من منظور تداولي ضرورة علمية لتطوير التعليم اللغوي، وتحسين قدرة الأفراد على التواصل بفعالية في مجتمع متغير ومتعدد الثقافات، وإن هذا الاهتمام الجديد بالمهارات اللغوية لا يهدف فقط إلى تعليم اللغة أو تحسينها على المستوى النظري، بل يسعى إلى تمكين المتعلم من إتقان فن التواصل الحقيقي، وفهم كيف تتفاعل اللغة مع السياق، والهدف، والشخصية، والموقف الاجتماعي. وبذلك، يصبح التحليل التداولي للمهارات اللغوية أداة لفهم أعمق لكيفية عمل اللغة في الحياة اليومية، وكيف يمكن للوعي التداولي أن يسهم في تطوير القدرة على التعبير والاستقبال بطريقة أكثر فعالية وذكاء تواصلية ، وفي ضوء ما تم ذكره هناك توصيات عدة تعزز المهارات اللغوية في ضوء التداولية : "مقاربة تحليلية" ، وهي:

١- ضرورة توظيف التداولية في تعليم المهارات اللغوية لتنمية القدرة على استخدام اللغة في سياقات حقيقية.

٢- تدريب المتعلمين على فهم المعاني الضمنية والسياق أثناء الاستماع والقراءة.

٣- تشجيع مراعاة السياق والغرض من التواصل عند التحدث والكتابة.

٤- اعتماد استراتيجيات تعليمية تعزز الفهم التداولي لتحقيق تواصل لغوي فعال.

## المصادر:

١- أحمد ، علي مذكور ، تدريس فنون اللغة العربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٦ ، (ص٣٣-٤٥).

٢- رشدي ، طعيمة ، المهارات اللغوية -تدريسها - صعوباتها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤ .

٣- طه ، عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٩٨ ، ص(٨٥-٩٥).

٤- يول ، جورج، التداولية ، ترجمة ( عبد القادر قنيني) دار الكتب الجديد ، المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ .